

تموت. إن « ساد » ينقض الناموس المتحكم بصيرورة التجربة الجنسية . أي أنه ينفي الحياة بالموت فيبقى التناقض مائلاً بينها . إلا أن هذا التصور من قبل باتاي يعتبر خاطئاً أما التجربة فلا تؤدي إلا إلى الفشل . ذلك أن تجربة الجنس والعشق وإن كانت تضع ضمن أفقها ظاهرة الموت فإنها لا تعتبر الموت نهاية لها . فتجربة العشق والجنس وإن كانت تنزع نحو الموت فإنها لا تدركه أبداً . وفي هذه الحالة تصبح تجربة العلاقة والافتتان بالموت ظاهرة كميائية أكثر منها صيرورة انتحارية - كما هو الشأن بالنسبة إلى « ساد » .

فالموت بالنسبة لباتاي نختبره وندرجه حيز التجربة ليقع استغلال أمثل لإمكانات الوعي وطاقت الحياة . فلدى باتاي - أي على عكس ساد - هناك دائماً نوع من اليقظة والمراقبة المستمرة لصيرورة اللذة والانتشاء وحتى الألم وهيجان انفجارها هو نوع من الاختبار لمحدودية الكائن ووعي بجوهره وتجاوزه لانفصامه .

وبهذا المعنى يصبح الموت رائد الحياة وموجهها ، ينير سبل الفعل الإنساني دون أن يكون هذا الموت مثلاً أعلى للحياة . كما أن الموت ليس قفا الحياة . فالموت في الأخير لا يعدو أن يكون غير هذا « اللاشيء » الذي ينخر جسد الوجود ويدفع بالحياة لتفرغ محتواها والطاقت المخزنة في صلبها أي يجرها إلى الفعل .

وليس صدفة أن ينطوي كتاب باتاي المسمى « دموع ايروس » على مشهد لرجل صيني يلاقي حتفه على يد جلاد يعذبه . كما أن باتاي كان يملك صورة فوتوغرافية مده بها أحد رجال التحليل النفسي وتنطوي على مرحلة من مراحل التعذيب التي يمر بها أحد الضحايا . وهي تشتمل على صورة رجل ما زال حياً ومعهذبه يقطع أوصاله الواحد تلو الآخر تحت أنظار أناس يتملون هذا المشهد . ولكن الذي استرعى انتباه باتاي ليس المشهد في حد ذاته وما انطوى عليه من تعذيب وإنما ملامح الرجل وهو يختبر تجربة التعذيب والاشراف على هلاكه فعوض عن أن تكون ملامح الرجل منقبضة يعلوها الاصفرار والزرقة وارهاصات الألم وهو يجتاز محنته نلاحظ عكس ذلك : أساريره منبسطة . ولقد صرح باتاي في خصوص هذا المشهد : « إن هذا المشهد كان دائماً